

<https://www.doi.org/10.31918/twejer.2362.31>

e-ISSN (2617-0752)

p-ISSN (2617-0744)



القيادة ومقوماتها في ضوء القرآن الكريم (دراسة موضوعية)

هيمن طاهر درويش

أ. د. جواد فقي علي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم القانون - جامعة كويه

jawad.ali@koyauniversity.org

علي ضومحيدري

كلية التربية - جامعة كويه

قسم التربية الدينية

hemntaher88@gmail.com

الملخص

هذا البحث يتحدث عن مسألة (القيادة), إذ تعدّ القيادة في المجتمع أو الدولة بمنزلة الرأس للجسد؛ لذا من الضروري وجود القيادة وعدم خلو منصبها من القائد, إلا أنه ينبغي علينا نحن المسلمين أن نقتبس صور القيادة الرشيدة من القرآن الكريم, لأنه من بين آياته وسرد قصصه أشار إلى أمثلة راقية من نماذج قيادات البشرية في تاريخها العريق, من المبعوثين كالرسل الكرام (عليهم السلام), أو المصلحين كذي القرنين, فحاولنا جاهدين أن نسلط الضوء على مفهوم القيادة والألفاظ ذات الصلة بها, مسترشدين بما توحى به الآيات القرآنية الكريمة - بنوع من الإيجاز -, واتبعنا في بحثنا المنهج الوصفي الموضوعي, وتوزعت المادة العلمية للبحث على مبحثين متلوين بخاتمة موجزة لأهم النتائج والتوصيات.

الكلمات المفتاحية: القيادة , مقومات القيادة , مميزات القيادة , القيادة في القرآن الكريم.

المقدمة

الحمدُ لله رب العالمين والصلاة والسلام على قائدنا ومقتدانا رسول الله الصادق الأمين وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، أمّا بعد:

فإنّ موضوع القيادة يعدّ من المواضيع التي لها شأن عظيم، إذ اهتمت به الحضارات والأمم عبر التاريخ، فقد أسهم العلماء منذ القدم إلى يومنا هذا في وضع النظريات والضوابط، ومن أهمّ المصادر وأنضجها مما يستفاد للقيادة ضوابط وقواعد على مرّ السنين هو القرآن الكريم، لأنه كتاب الله عزّ وجل، وهو أصدق المصادر على الإطلاق، إنّ الاهتمام بموضوع القيادة قد احتل مساحة كبيرة في الأذهان المسلمة الفكرية، وقد ربط العلماء هذا الموضوع بآيات القرآن الكريم وقصصه، وبمن جاءت أسماؤهم في كتاب الله (ﷺ) من الأنبياء والرسل (عليهم السلام) ممّن كانوا حقا قادة لأممهم، فضلا عن غيرهم ممن أشار إليها القرآن الكريم كقادة ناجحين مع من حولهم، واستنبط العلماء من خلالها مميزات القيادة ومبادئها وشروطها وسماتها.

أهمية البحث: تبدو أهمية البحث من خلال ما يأتي:

1. بيان عظمة كتاب الله (ﷺ) الذي يهدي الناس في مجالات الحياة كلها وينظمها تنظيما دقيقا مما يستلزم القيادة الرشيدة.
2. ضرورة البحث على إعداد القادة وفق المبادئ التي يشير إليها القرآن الكريم خلال آياته وسرد قصصه.
3. أهمية القيادة كدافع رئيس للنهوض بالمجتمع والعملية الإدارية في تحقيق أهدافها النبيلة.

أسباب اختيار البحث: من بين أسباب اختيار الموضوع ما يأتي:

1. دراسة هذه الموضوعات في القرآن الكريم يسهم في بناء الحياة الإنسانية كلها، بما فيها شؤون القيادة.

٢. الرغبة في دراسة هذا الموضوع دراسة علمية لعلنا نسلط الضوء على أهمية القيادة ومميزاتها في القرآن الكريم.

٣. حاجة مجتمعنا اليوم للتعرف على مبادئ القيادة من خلال القرآن الكريم الذي هو دستور الحياة لكل مسلم.

٤. المشاركة في إبراز موضوع القيادة وأهميتها في أوساط المؤسسات الإدارية والحكومية.

نطاق البحث: يكون هذا البحث منحصرا في موضوع القيادة في ضوء القرآن الكريم وظلال آياته، مركزا على مقومات القيادة من أنواعها وأهميتها وصفاتها ومقوماتها، كل ذلك من خلال عرض النماذج القرآنية حولها.

مشكلة البحث: إنّ من أعظم المصائب التي حلت بمجتمعنا في واقعنا المعاصر هي افتقارنا للقيادة الحكيمة الواعية الذكية التي تسير وفق منهج كتاب الله (Y)، ولذلك فإنّ مشكلة البحث تتضح في كيفية معرفة المعنى الحقيقي للقيادة ومقوماتها في ضوء القرآن الكريم، فبعد تحديد هذه المشكلة تبرز مشكلة البحث مما تستدعي البحث عن حلولها، عن طريق استقراء بعض النصوص المتعلقة بالقيادة ومبادئها في القرآن الكريم وتحليلها، وتوظيف ذلك المصدر لزيادة فاعلية القيادة في المجتمع.

الدراسات السابقة: إنّ دراسة هذا الموضوع - القيادة - وربطه بالقرآن ليس بموضوع جديد في طرحه ودراسته دراسة علمية، إذ هناك كتب ومقالات ورسائل وأطاريح تتحدث عن جزئيات هذا الموضوع في القرآن الكريم منها:

١. القيادة في ضوء الآيات القرآنية - دراسة موضوعية، محمود أحمد الأسطل، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية / كلية أصول الدين - غزة، نشرت عام: ١٤٣٣هـ.

٢. القادة في ضوء القرآن الكريم - دراسة موضوعية تحليلية، فيصل راجح عبد السلام، أطروحة الدكتوراه، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية / كلية الدراسات العليا - السودان، نشرت عام: ١٤٣٨هـ.

٣. القيادة في ضوء القرآن الكريم محمد (ﷺ) نموذجا - دراسة استنباطية موضوعية, محمد فتحي عبد الجواد فرج الله, رسالة ماجستير, جامعة المدينة العالمية / كلية العلوم الإسلامية - ماليزيا, نشرت عام: ١٤٣٨ هـ.

٤. القيادة والجنديّة في ضوء القرآن الكريم - دراسة موضوعية, صلاح مبارك شاهي الرويلي, رسالة ماجستير, جامعة مؤتة / كلية الشريعة - الأردن, نشرت عام: ٢٠١٤ م.

إلا أنّ ما يميّز بحثنا هذا عن غيره هو أننا درسنا الموضوع دراسة وصفية موضوعية أكاديمية في القرآن الكريم.

أهداف البحث: تتجلى أهداف البحث في عدة أمور من أهمها:

١. التعرف على مفهوم القيادة في ضوء القرآن الكريم.

٢. بيان صفات القيادة في القرآن الكريم التي يجب أن يتحلّى بها القائد.

٣. بيان مدى عناية القرآن الكريم بالقيادة وأنواعها ومقوماتها في مختلف أطر الحياة العامة.

٤. تقديم دراسة قرآنية حول مفهوم القيادة والتعرف على مقوماتها مما هو مستنبط من القرآن الكريم.

منهج الباحث: بما أنّ موضوع القيادة ومقوماتها في القرآن الكريم يقتضي أن يتبع فيه دراسة وتتبعاً جديراً بالآيات القرآنية من خلال التفاسير المعتمدة, والكتب المتعلقة بهذا الموضوع, والدراسات المختصة حول القيادة, فاخترنا المنهج الوصفي الموضوعي في هذا البحث.

هيكل البحث: هذا البحث مؤلف من مبحثين, المبحث الأول يتضمن ثلاثة مطالب وهذه المطالب مخصصة لتعريف القيادة, ثم ذكرها وأنواعها في القرآن الكريم, والمبحث الثاني يتضمن ثلاثة مطالب أيضاً, نسلط الضوء على أهمية

القيادة وصفاتها ومقوماتها في القرآن الكريم في المطالب الثلاثة، هذه ثم ننهي البحث بذكر أهم نتائجها وتوصياتها.

المبحث الأول: مفهوم القيادة وأنواعها في القرآن الكريم

المادة العلمية لهذا المبحث موزعة على ثلاثة مطالب كما يأتي:

المطلب الأول: تعريف القيادة

أولاً: تعريف القيادة لغة: مأخوذة من القَوْد (بفتح القاف وسكون الواو) وهو نقيض السَوْق (بفتح السين وسكون الواو)، فيقال: يقود الدابة من أمامها، ويسوقها من خلفها، وقاد الدابة يقودها قيادة، والقيادة: مصدر، والقائد (اسم فاعل)، ويجمع على القواد والقادة، وجمع الجمع قادات.

ويقال: القائدة من الإبل، أي: التي تقدم الإبل وتألّفها، والقائد من الجبل أي: أنفه؛ وكل مستطيل من أرض أو جبل على وجه الأرض، والأقواد من الناس، أي: الذي إذا أقبل على الشيء بوجهه لم يكد يصرف وجهه عنه، وقاد الجيش قيادة: رأسه ودبّر أمره، والانقياد: الخضوع، تقول: قُدته فانقاد واستقاد لي (ابن سيده، ١٤٢١هـ، ٥٣٥/٦، والفيروزآبادي، ١٤٢٦هـ، ٣١٣/١، والزبيدي، ١٩٨٤م، ٧٦/٩).

والحاصل الذي يتبين ويلاحظ من خلال مفردات المادة في قواميس اللغة العربية ومعجمها أنّ لفظ (القيادة) يستعمل لعدة معانٍ، منها: الامتداد في الشيء، التقدم عن الشيء المقود، الحبل الذي يقاد به الشيء، الإسراع، التدبير، الاتساع، الألفة والتأليف.

ثانياً: تعريف القيادة اصطلاحاً: بعد التتبع والبحث في تعريف القيادة يبدو أن الباحثين والكتّاب قد اختلفوا في تعريفها، وتعددت آراؤهم في ذلك فلم يستقر رأيهم على تعريف جامع لمفهوم القيادة؛ فكلّ واحد منهم يعرّفها وفق اعتبارات مختلفة، فمنهم من يعرف القيادة ويعتد بالسمات الشخصية للقائد وصفاته - أي توافر صفات متميّزة عن الآخرين فيه -، ومنهم من يأخذ بنظر الاعتبار الوظائف التي يقوم بها القائد ويديرها، ومنهم من ينظر إلى المركز أو المكانة التي يشغلها

القائد في الجماعة، ومنهم من يعرف القيادة من الناحية التربوية أو الإدارية أو العسكرية أو غير ذلك، ومن ثم تعددت التعريفات للقيادة لدى الباحثين ونلاحظ عليها تقارباً ملحوظاً، ومن هذه التعاريف:

أ. القيادة "هي الفن الذي تستطيع بواسطته التأثير في توجيه الآخرين إلى هدف معين، بطريقة نحصل بها على ثقتهم واحترامهم وطاعتهم وتعاونهم المخلص" (بصوص، ١٩٨٨م، ٢٥).

ب. أو "هي قدرة الفرد في التأثير على شخص أو مجموعة وتوجيههم وإرشادهم؛ من أجل كسب تعاونهم وحفزهم على العمل بأعلى درجات الكفاية في سبيل تحقيق الأهداف الموضوعية" (المغربي، ١٩٧٤م، ٢٣٥-٢٣٦).

ج. أو "هي الصفة التي تخلعها جماعة معينة على فرد من أفرادها، فيه خصائص وقدرات معينة تجعله في نظرهم أهلاً للصدارة والقيادة" (المعمري، ١٤٢٧هـ، ٨).

د. أو "هي عملية تفاعل متبادل بين قائد؛ ومجموعة من الناس في موقف معين يترتب عليه تحديد أهداف مشتركة، ثم القيام بالإنجازات المؤثرة بشكل جماعي غير قهري؛ لتحقيق هذه الأهداف" (أبو النصر، ٢٠١٢م، ٢٣).

بهذا القدر نكتفي بالإشارة إلى تعريفات القيادة، ويبدو من التعريفات المذكورة أنفاً أنّ مفهوم القيادة وهو: "القدرة على تحريك الناس نحو هدف ما" (السويدان وياشراحيل، ٢٠٠٤م، ٤٠)، وقد بالغ بعض الباحثين في تعريف القيادة لدرجة وصلت التعريفات (٨٥٠) تعريفاً للقيادة في التراث العلمي، وهو عدد لم تحظ به أية ظاهرة إنسانية أخرى، وهو من جانب يعني ثراء المفهوم، ومن جانب آخر عدم القدرة على الاتفاق على تعريف موحد لاختلاف وجهات النظر الحضارية والثقافية والعلمية، واختلاف الأهداف البحثية في دراسة مفهوم القيادة (صالح، ٢٠٢٠م، ١٤).

وإذا كان لا بدّ لنا من رأي حول الموضوع نقول أن تعريف القيادة بأنها صفة تخلعها جماعة على فرد من أفرادها فيه خصائص وقدرات معينة أقرب هذه

التعريفات إلى الصواب, لأننا وعبر التاريخ نرى تبوء أناس أمر القيادة في المجتمعات وهم على ما هم عليه, ولما تتوفر فيهم الصفات المطلوبة في القيادة, وقد حكموا بلادهم وتغنى الناس بهم لأمد من الأمد.

المطلب الثاني: الألفاظ الدالة على القيادة في القرآن الكريم

الباحث المدقق في القرآن الكريم إذا أراد أن يبحث فيما يخص القيادة والريادة, يرى أنّ القرآن الكريم لم يركّز على الألفاظ والأسامي بقدر ما ركّز على المعاني واهتم بها, لذا لم يأت مصطلح القيادة - بل وحتى مشتقاتها - على مستوى جذر الكلمة (قَوْد) في أي آية من القرآن الكريم, وإنما وردت ألفاظ أخرى تدل على معنى القيادة ومفهومها ودورها في المجتمع بنوعيه الإيجابي والسلبي في المجالات المتعددة, فقد ذكر لنا القرآن الكريم من خلال قصصه وغير ألفاظاً أخرى مما لها ارتباط وصلّة بلفظ القيادة من حيث المفهوم والمعنى, نحاول أن نبرزها قدر المستطاع وبنوع من البيان كالآتي:

١- الإمامة: فقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم بصيغتين:

أ: إمام: الإمام كل من اقتدى به وقدم في الأمور (ابن فارس, ١٣٩٩هـ, ٢٨/١), والإمام: المؤتمّ به, إنساناً كأن يقتدى بقوله أو فعله, أو كتاباً, أو غير ذلك محقاً كان أو مبطلاً, وجمعه: أئمة (الأصفهاني, ١٤١٢هـ, ٨٧), وردت هذه الكلمة في عدة سور في القرآن الكريم, فنأخذ منها على سبيل المثال قوله تعالى: [وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ] (البقرة: ١٢٤), المقصود بالإمامة في هذه الآية الكريمة القدوة الذي يُؤتمّ به (أبو حيان, ١٤٢٠هـ, ٥٩٦/١), وكلّ نبيّ إمام لأمته فهو المقتدى به في أقواله وأفعاله, وإمامة سيدنا إبراهيم (v) عامة مؤيّدّة إذ لم يبعث بعده نبيّ إلا كان من ذريّته مأموراً باتّباع ملته (أبو السعود, ١٤١٤هـ, ١٥٦/١), وكونه إماماً أي يتخذونه ويجعلونه قدوة يقودهم إلى الله (Y), ويقدمهم إلى الخير ويشجعهم عليه, ويكونون له تبعاً, وتكون له فيهم سيادة وقيادة (سيد قطب, ١٤١٢هـ, ١١٢/١).

ب: أئمة: والأصل في أئمة: أئمة، لأنه جمع إمام كمثال وأئمة، وأئمة جمع إمام (الأزهري، ١٤٠٧هـ، ٤٥٨/١٥)، ورد هذا اللفظ في عدة سور من القرآن الكريم، نذكر منها قوله تعالى: [وَجَعَلْنَاهُمْ أئمةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ] (الأنبياء: ٧٣) أي جعلناهم قادة (الماتريدي، ١٤٢٦هـ، ٣٥٩/٧)، وقدوة يقتدى بهم في أمور الدين إجابة لدعاء سيدنا إبراهيم (ص) بقوله: [وَمِنْ ذُرِّيَّتِي] (القاسمي، ١٤١٨هـ، ٢٠٥/٧) ورؤساء يقتدى بهم في الخيرات وأعمال الطاعات (الشوكاني، ١٤١٤هـ، ٤٩١/٣)، الإمام مقدّم القوم، واستحقاق رتبة الإمامة باستجماع الخصال المحمودة التي في الأمة فيه، فمن لم تتجمع فيه متفرقات الخصال المحمودة لم يستحق منزلة الإمامة (القشيري، ٢٠٠٠م، ٥١٠/٢).

تدل الآية القرآنية السابقة على إمامة الخير وقادة السداد ورؤساء الرشاد، كما وفي المقابل ورد لفظ الأئمة في آيات أخرى تدل على قادة الباطل والفساد ودعاة الشر، منها قوله تعالى: [وَجَعَلْنَاهُمْ أئمةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ] (القصص: ٤١).

مجمل القول أن الإمامة حسب ما وردت في القرآن الكريم تعني قيادة الناس ورعايتهم واقتداء الرعية بهم في جوانبها الدينية والدنيوية جميعها، سواء كان ذلك للخير والسداد أم للشر والفساد.

٢- الأئمة: الأمة والإمام كلاهما من جذر واحد وهو: أمم، والأئمة - بالضم - الرجل الجامع للخير، والإمام (الزبيدي، ١٩٨٤م، ٢٢٧/٣١-٢٢٩)، جاءت هذه الكلمة في القرآن الكريم في عدة سور، وبعده معان، فمن بين الحالات وردت بهذا المعنى، وبه فسرها العلامة ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) (رحمه الله) قوله تعالى: [إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أئمةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ] (النحل: ١٢٠) فيقول: "فأما الأئمة فهو الإمام الذي يقتدى به" (ابن كثير، ١٤٢٠هـ، ٦١٠/٤-٦١١)، لا شك أن الأنبياء كلهم قادة وأئمة، وأن سيدنا إبراهيم (ص) سيد القادات وقائد السادات لأنه أبو الأنبياء.

٣- الخِلافة: هي النيابة عن الغير إمّا لغيبية المنوب عنه وإمّا لموته وإمّا لعجزه وإمّا لتشریف المستخلف, على هذا الوجه الأخير استخلف الله (Y) عباده في الأرض (الأصفهاني, ١٤١٢هـ, ٢٩٤), ويقول العلامة ابن خلدون (ت: ٨٠٨هـ) (رحمه الله): "هي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به" (ابن خلدون, ١٤٢٨هـ, ٢١١).

وقد وردت هذه الكلمة بمشتقاتها في القرآن الكريم في عدة سور, وقد دلت على معنيين رئيسيين:

الأول: الاستخلاف في الأرض وتولى سياسة الناس, وإرشادهم إلى الصراط المستقيم (طنطاوي, ١٩٩٨م, ١٤٩/١٢), كما يذكر الله (Ψ) نبيّه داود (U) بوضوح فيقول: [يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ] (ص: ٢٦) أي: استخلفناك في الأرض من بعد من كان قبلك من الأنبياء والأئمة الصالحين حكما بين أهلها (الطبري, ١٤٢٠هـ, ١٨٩/٢١), والخليفة: هو السلطان الأعظم الذي يستخلف من قبله, والخلائف: جمع خليفة, والخلفاء جمع خليف (الجوهري, ١٤٠٧هـ, ١٣٥٦/٤).

الثاني: خلافة أمة لأمة أو جيل لجيل, قد جعل الله (I) المؤمنين خلائف في الأرض من بعد هؤلاء القرون الذين أهلكهم لما ظلموا, يخلفونهم في الأرض ويكونون فيها من بعدهم, لينظر الله (I) إلى أعمالهم, وأين هي من أعمال من هلك من قبلهم من الأمم بذنوبهم وكفرهم بربهم (الطبري, ١٤٢٠هـ, ٣٨/١٥), كما أشار إلى ذلك بقوله (Y): [ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ] (يونس: ١٤), في هذه الآية إيماء وإشارة بوضوح إلى أن الخلافة منوطة بالأعمال لا بالأفراد والأشخاص, لئلا يغتر الناس بما سينالونه ويظنوا أنه باق لهم, وأنهم سيكونون بمنجاة من مقتضى سنة الله (I) في الظالمين (المراعي, ١٣٦٥هـ, ٧٧/١١), وأن منجاة الناس تكمن في عملهم الصالح, يؤكد هذا قوله تعالى: [وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ] (النور: ٥٥).

وفي نهاية هذه النقطة يبدو أنّ الخلافة هي القيادة، وقد أطلق على القائم بأمر الخلافة في السابق الخليفة أو السلطان الأعظم فهو القائد القادر الذي يخلف من كان قبله، وخلافة أمة لأمة منوطة بالأعمال الصالحة لا بالأفراد والأشخاص.

٤- الأُسوة: والأسوة بالكسر والضم لغتان، وجمعها إسيّ وأسيّ، وانتسى به أي: اقتدى، يقال: لا تُتأس بمن ليس لك بأسوة أي: لا تتقدّ بمن ليس لك بقدوة، ولي في فلان أسوة أي: قدوة (الجوهري، ١٤٠٧هـ، ٢٢٦٨/٦)، وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم في سورتي (الأحزاب) مرة واحدة، و (الممتحنة) مرتين، يقول الله (I): [لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا] (الأحزاب: ٢١) ومعنى الأسوة القدوة وهو من يقتدى به، والمراد به هنا أنّ في رسول الله (ﷺ) لكم قدوة يحسن التأسى به (المظهر، ١٤١٢هـ، ٣٠٩/٧).

يلحظ أنّ كلمة الأسوة بين الكلمات التي وردت في القرآن الكريم وفيها مدلولات القيادة وهي من أكثرها ارتباطا وصلة بمعنى القيادة، وأقربها من هذه المهمة المباركة.

٥- الزعيم: زعيم القوم: سيدهم ورأسهم الذي يتكلم عنهم (الفراهيدي، ١٩٨٥م، ٣٦٤/١)، ورد هذا المصطلح في القرآن الكريم مرتين في سورتي (يوسف: ٧٢) و (القلم: ٤٠)، ولاشك فيه أنّ له معنى آخر غير الذي نحن بصده، ولكن الذي يلحظ أنّ بعض المفسرين فسر الآية التي في سورة يوسف بهذا المعنى، يقول الله (I): [قَالُوا تَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ] (يوسف: ٧٢) أكدّ رئيس المنادين أنّه الضامن لمن يُخرج صواع الملك، ويحضرها دون تفتيش فينال جائزته (الشعراوي، ١٩٩٧م، ٧٠٢٥/١١) أي: هو كفيل له، والزعيم والكفيل والضمين بمعنى واحد، ويسمى الرئيس زعيما؛ لأنّه كفل أمور القوم، فهو زعيمهم يقوم بمصالحهم ويتكلم عنهم (السمعاني، ١٤١٨هـ، ٥٠/٣).

مما لا يخفى حسب تفسير العلماء لهذه الآية الكريمة أنّ الزعيم يعدّ إحدى الكلمات التي فيها مدلولات القيادة.

٦- السَّيِّدُ: ساد قومه يسودهم سيادة، فهو سيدهم، وهم سادة (الجوهري، ١٤٠٧هـ، ٢/٤٩٠)، ورد هذا المصطلح في القرآن الكريم في ثلاث سور بصيغتي المفرد والجمع، فيقول الله (I): [وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا] (الأحزاب: ٦٧) المراد بالسيادة والكبراء: الرؤساء والقادة والعظماء ممن كانوا يمثلون أمرهم في الدنيا ويقتدون بهم (السمرقندي، ١٤١٣هـ، ٣/٦١).

تبدو في هذه الآية الكريمة حقيقة وهي أنه لا يشترط في القائد أن يكون سائرا على الخير والرشاد والسداد على الدوام، لذا يقول الإمام الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ) (رحمه الله): "وفي هذا زجر عن التقليد شديد، وكم في الكتاب العزيز من التنبيه على هذا! والتحذير منه، والتنفير عنه، لمن يفهم معنى كلام الله ويقتدي به، وينصف من نفسه، لا لمن هو من جنس الأنعام! في سوء الفهم، ومزيدة البلادة، وشدة التعصب" (الشوكاني، ١٤١٤هـ، ٤/٣٥٢).

٧- الْمَلِكُ: المَلِكُ مفرد جمعه مُلُوكٌ، صفة مشبهة تدلّ على الثبوت، من مَلَكٌ (عمر، ١٤٢٩هـ، ٣/٢١٢٣)، والمَلِكُ اسم لكل من يملك السياسة، إمّا في نفسه؛ وذلك بالتمكين من زمام قواه، وصرفها عن هواها، وإمّا في غيره؛ سواء تولى ذلك أو لم يتولّ" (الأصفهاني، ١٤١٢هـ، ٧٧٥)، وردت هذه الكلمة بمشتقاتها في القرآن الكريم كثيرا، على سبيل المثال:

أ. يقول الله (Y): [وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكُهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ] (البقرة: ٢٤٧).

ب. يقول الله (Y): [فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا] (النساء: ٥٤).

ج. يقول الله (Y): [قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَةَ أَهْلِهَا أُذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ](النمل: ٣٤).

لا شك أن مصطلح المَلِك فيه مدلول القيادة ومعناها, لأنَّ الملك والسلطنة يحتاجان إلى القيادة القوية لهمايتها, إذن لا بد أن يكون الملك قائدا ناجحا ليوم دوره وتبقى سلطنته.

٨- الربانيّ: مأخوذ من الربّ, وربيت القوم: سُسْتُهُم أي كنت فوقهم (الجوهري, ١٤٠٧هـ, ١٣٠/١), والربّ يطلق في اللغة على المالك, والسيد, والمدير, والمربي (الزبيدي, ١٩٨٤م, ٤٥٩/٢), وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم في عدة سور, منها قوله تعالى: [مَا كَانَ لِيَشْرَ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ](آل عمران: ٧٩), يقول شيخ المفسرين الإمام الطبري (ت: ٣١٠هـ)(رحمه الله): "الرباني هو العالم بالفقه والحكمة من المصلحين, يرب أمور الناس بتعليمه إياهم الخير, ودعائهم إلى ما فيه مصلحتهم, وكان كذلك الحكيم التقي لله (Y), والوالي الذي يلي أمور الناس على المنهاج الذي وليه المقسطون من المصلحين, أمور الخلق بالقيام فيهم بما فيه صلاح عاجلهم وأجلهم, وعائدة النفع عليهم في دينهم ودنياهم, كانوا جميعا يستحقون أن يكونوا ممن دخلوا في قوله (Y): [وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ]"(الطبري, ١٤٢٠هـ, ٥٤٤/٦), إذن الرباني هو الذي يجمع إلى العلم البصر بالسياسة, وهذه الصفة من الصفات اللازمة التي لا بد أن توجد في القائد بل من واجباته ليصلح ما يقوم به على بصيرة (القرطبي, ١٣٨٤هـ, ١٢٢/٤).

بهذا القدر نكتفي بذكر الألفاظ التي وردت في القرآن الكريم وفيها مفاهيم القيادة وإشاراتها, ولو بقي بعضها لم نذكرها بالتفاصيل مخافة الاطالة, والمفاهيم الباقية - حسب إطلاعنا - هي: (الأمانة, الولاية, أولو الأمر, السلطان, الوزير, النقيب, الحكم), والخلاصة أن القيادة هي رئاسة الناس في أمورهم وشؤونهم وقيادتهم بحنكة وروية.

المطلب الثالث: أنواع القيادة في القرآن الكريم

الباحث في القرآن الكريم والمتدبر في الآيات المتعلقة بموضوع القيادة - بعد الاستقراء - يرى أنّ هذا الموضوع يدور - بشكل عام - حول مفهومين متميّزين من القيادة، ويمكن أن يسمّى هذان المفهومان بالقيادة الراشدة والقيادة الفاسدة أو القيادة الإيجابية والقيادة السلبية، والقيادة التي يصح إطلاق هذا اللفظ عليها - وفق المنظور القرآني - هي القيادة الساعية للخير الأمرة بالمعروف والناهية عن المنكر، سنذكر كلّ نوع منهما وسنبين في ضوء الآيات القرآنية مفهومهما، مستندين إلى أقوال العلماء الأجلاء فيما يأتي في فرعين:

الفرع الأول: القيادة الراشدة: الرُّشد: نقيض العيِّ. رشد الإنسان، يرشُد رُشداً، فهو راشد، وهو نقيض الضلال، إذا أصاب وجه الأمر والطريق، والراشد اسم فاعل (ابن منظور، ١٤١٤هـ، ١٧٥/٣)، إنّ صورة تلك القيادة الراشدة واضحة في القرآن الكريم؛ لأنها من أكثر أنواع القيادات وروداً فيه، ولأن هذا النوع يشتمل على قصص الأنبياء والمرسلين (عليهم السلام)، ولا شكّ أنهم من أنجح قيادات البشر وأفضلها مطلقاً، فنرى أنّ الله (I) لما قصّ على رسوله (ﷺ) أخبار ثمانية عشر نبياً في سورة (الأنعام) أمر عباده أن يقتدوا بهم، ويرشدهم الله (Y) إلى اتباعهم فيقول (I): [أُولَئِكَ الَّذِينَ اتَّبَعْنَا هُمْ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ] ثم يقول: [أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ] (الأنعام: ٨٩-٩٠)، من بين هؤلاء الأنبياء من جمع بين النبوة والرسالة، وبين الملك والإمارة والحكم، فيوسف كان وزيراً وحاكماً متصرفاً، وموسى وهارون كانا حاكمين، ولم يكونا ملكين، وداود وسليمان كانا ملكين، وأيوب كان أميراً (عليهم الصلاة والسلام) (الزحيلي، ١٤١٨هـ، ٢٧٩/٧-٢٨٠).

وتأييداً لهذا يقول المصطفى (ﷺ) في وصف أنبياء بني إسرائيل: [كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ..] (البخاري، ١٤٢٢هـ، ١٦٩/٤، ومسلم، ١٣٧٤هـ، ١٤٧١/٣)، يقول الحافظ ابن حجر (ت: ٨٥٢هـ) (رحمه الله) في شرح هذا الحديث: "أي أنهم كانوا إذا ظهر فيهم فساد بعث الله لهم نبياً يقيم لهم أمرهم ويزيل ما غيروا من أحكام التوراة، وفيه إشارة إلى أنه لا بدّ

للرعية من قائم يقوم بأمورها ويحملها على الطريق الحسن وينصف
المظلوم من الظالم" (العسقلاني، ١٣٧٩هـ، ٦/٤٩٧).

كما توجد نماذج أخرى من القيادات الراشدة والإيجابية في القرآن الكريم من
غير الأنبياء (عليهم السلام)، الشخصيات التي وردت أسماءهم وبعض أحوالهم
الإدارية من جهة الحكم والسلطة، مثل طالوت الملك الذي كان في زمن نبي الله
داود (ص) فيقول (I) في حقه: [وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا
قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ
قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ
يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ] (البقرة: ٢٤٧)، وذي القرنين الملك الصالح الذي يقول الله
(I) في وصفه: [إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَنَبَّأَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِّأً] (الكهف: ٨٤)،
فكان ملكه قد بلغ مطلع الشمس ومغربها كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم في
سورة الكهف من آية (٨٣) إلى آية (٩٨).

فهذا النوع من القيادات وإن كان لا يحتاج إلى تدليل وإيضاح لكثرة وروده
في القرآن الكريم من النواحي المختلفة، لكننا أشرنا إليه إشارة عابرة، بغية أن
يكون سيرها نبزاً لمن يديرون أمر الرعية فيضيه لهم طريقهم، ويرشدتهم
إلى ما يمكن قيادتهم، ويثبت أركانهم بإذن الله تعالى.

الفرع الثاني: القيادة الفاسدة: الفساد: خروج الشيء عن الاعتدال، قليلاً
كان الخروج عنه أو كثيراً، ويضاده الصلاح (الأصفهاني، ١٤١٢هـ، ٦/٦٣٦)،
تلك القيادة هي القيادة السلبية المستبدة الظالمة المنحرفة عن جادة الحق،
المخالفة لشرع الله (Ψ) والمحرفة لأحكامه، وهذا النوع من القيادة صارف
للأمة عن تحقيق أهدافها بإشاعة الفتن والدمار والخراب فيها، ويسعى دوماً
نحو تحقيق أهدافه ومصالحه الشخصية على حساب الرعية والأمة، عكس القيادة
الراشدة كما يسعى - ليل نهار - نحو زرع الأخلاق الرذيلة والقيم الباطلة في
المجتمع، ويصرف الأوقات والأثمان من أجل بقائه على عرشه وتمسكه بزمام
السلطة.

عرض القرآن الكريم هذا النوع من القيادة خلال قصصه لا سيما حين يذكر
أمثال الأشرار والمجرمين ممن استكبروا وتجبروا على الأرض، وطغوا وبلغوا

أقصى غاية الغي حتى ادعوا الألوهية والربوبية لأنفسهم، ولأمثال ذلك نستشهد بمثالين في القرآن الكريم:

الأول: الملك الذي كان في زمن نبي الله إبراهيم (U)، ذُكر في كتب التفسير والتاريخ باسم (نمرود) يقول الله (Ψ) في ذمّه: [أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ] (البقرة: ٢٥٨)، فهذا الملك كان نموذجاً سيئاً للقيادة الفاسدة الظالمة.

الثاني: فرعون الملك الذي كان في زمن نبي الله موسى (U)، يقول الله (Ψ) في ذمّه: [إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ] (القصص: ٤)، يقول الحافظ ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) (رحمه الله) في تفسير هذه الآية: "[إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ] أي: إِنَّ فرعون تكبر وتجبّر وطغى [وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا] أي: أصنافاً قد صرف كل صنف فيما يريد من أمور دولته، وقوله: [يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ] يعني: بني إسرائيل، وكانوا في ذلك الوقت خيار أهل زمانهم، هذا وقد سلط عليهم هذا الملك الجبار العنيد يستعملهم في أخس الأعمال وأرذلها، ويكدهم ليلاً ونهاراً في أشغاله وأشغال رعيته، ويقتل مع هذا أبناءهم، ويستحيي نساءهم، إهانة لهم واحتقاراً" (ابن كثير، ١٤٢٠هـ، ٦/٢٢٠).

فالقرآن الكريم كما اهتم بالقيادات الراشدة وسرد حياتهم وسلط الضوء على مواقفهم ليقندي بهم، لم يهمل حياة القيادات الفاسدة وأحوالهم وظلمهم في تاريخ البشرية لنتجنب الخصال المذمومة التي كانوا يتسمون بها ولنلّا نقلدهم، إلا أننا اكتفينا بعرض هذين المثالين أو الشخصيتين لأنهما الأنموذج الأمثل لهذا النوع من القيادة، كل ذلك رغبة في الاختصار وخشية من الحشو والتطويل.

وأخيراً نختم هذا المطلب بتقسيم الناس لدى العلامة ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) (رحمه الله)، فهو يرى أنّ الناس ينقسمون إلى أربع فئات، وهي:-

الفئة الأولى: يريدون العلوّ على الناس والفساد في الأرض بمعصية الله، هؤلاء هم الملوك والرؤساء المفسدون، كفرعون وحزبه، وهؤلاء هم شرار الخلق، قال الله تعالى: [إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ] (القصص: ٤).

الفئة الثانية: ممن يريدون الفساد بلا علو، من سفلة الناس كالمجرمين والسراق.

الفئة الثالثة: يريدون العلوّ بلا فساد، كالذين عندهم دين يريدون أن يعملوا به على غيرهم من الناس.

الفئة الرابعة: فهم أهل الجنة من عباد الله في الأرض، ممن لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا، مع أنهم قد يكونون أعلى من غيرهم، كما قال الله تعالى: [وَلَا تَهْنُؤا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ] (آل عمران: ١٣٩) (ابن تيمية، ١٤١٨هـ، ١٣٠-١٣١).

نرى أنّ هذا التقسيم الرباعي يرجع في المآل إلى النوعين اللذين سبقت الإشارة إليهما بعنوان القيادة الراشدة والقيادة الفاسدة، لأنّ الناس مهما تعددت آراؤهم وتشتت طبائعهم فهم في النهاية ينقسمون إلى هذين الصنفين أي موزعون بين الخير والشر والله أعلم.

المبحث الثاني: أهمية القيادة وصفاتها ومقوماتها في القرآن الكريم

للقيادة أهمية قصوى في حياة الأمم والشعوب، وقد ذكر لنا القرآن الكريم ما ينبغي أن يتصف به القائد كما ذكر بصورة غير مباشرة مقومات القيادة، خصصنا هذا المبحث للحديث عن ذلك وتوزعت مادته العلمية على ثلاثة مطالب وهي:

المطلب الأول: أهمية القيادة في القرآن الكريم

القيادة أمر يقضي القرآن الكريم بضرورته ويؤكد عليه كذلك السنة النبوية وسيرته (ﷺ) العطرة ويركزان عليه فهو استجابة للعقل، ويطلبه الإنسان الإداري وطبيعته الاجتماعية لما فيه تحقيق مصالحه ليقام العدل به، إذن لا بدّ من القيادة للمجتمعات البشرية لينظم شؤونها ويقم العدل بينها، فأهمية القيادة من

منظور القرآن الكريم ظاهرة في وجود كثرة القصص حولها في القرآن، وهنا تجب الإشارة إلى سير الأنبياء والمرسلين وغيرهم من الشخصيات القيادية الوارد ذكرهم في القرآن الكريم، فكما تظهر أهمية القيادة في إشارات قرآنية والتأكيد عليها والحفاظ على كيان المجتمع من لدن الرعية والراعي ولا يتم ذلك إلا بقيادة رشيدة، نذكر أدناه بعض الآيات التي تدل على أهمية القيادة ومكانتها نشير إليها على سبيل المثال لا الحصر:

١. قوله تعالى: [إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ] (النساء: ٥٨).

٢. قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ] (النساء: ٥٩).

٣. قوله تعالى: [لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ] (الأحزاب: ٢١).

٤. قوله تعالى: [يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ] (ص: ٢٦).

٥. قوله تعالى: [وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً] (البقرة: ٣٠).

يقول القرطبي (ت: ٦٧١هـ) (رحمه الله) في تفسير هذه الآية الأخيرة: " إن هذه الآية أصل في نصب إمام وخليفة يسمع له ويطاع، لتجتمع به الكلمة، وتنفذ به أحكام الخليفة، ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة ولا بين الأئمة، وأجمعت الصحابة (رضي الله عنهم) على تقديم الصديق (ع) بعد اختلاف وقع بين المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة في التعيين، فلو كان فرض الإمامة غير واجب لما ساغت هذه المناظرة والمحاورة عليها، ثم إن الصديق (ع) لما حضرته الوفاة عهد إلى عمر (ع) في الإمامة، ولم يقل له أحد هذا أمر غير واجب علينا ولا عليك، فدل على وجوبها وأنها ركن من أركان الدين الذي به قوام المسلمين، والحمد لله رب العالمين" (القرطبي، ١٣٨٤هـ، ١/٢٦٤) (بتصرف).

هذا ولا شك أنّ آيات القرآن الكريم حافلة بنصوص كثيرة توضح أهمية القيادة ودورها بل وجوبها، كما وأنّ هناك نصوص كثيرة جاءت في السنة النبوية الشريفة موضحة بدورها أهمية القيادة ومؤكدة لمكانتها، من ذلك:

١. قال النبي (ﷺ): [سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ ..] (البخاري، ١٤٢٢هـ، ١٣٣/١، ومسلم، ١٣٧٤هـ، ٧١٥/٢).

٢. قال النبي (ﷺ): [كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ..] (البخاري، ١٤٢٢هـ، ٥/٢، ومسلم، ١٣٧٤هـ، ١٤٥٩/٣) واللفظ للبخاري.

٣. قال النبي (ﷺ): [مَا مِنْ وَالٍ يَلِي رَعِيَّةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَيَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لَهُمْ، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ] (البخاري، ١٤٢٢هـ، ٦٤/٩).

٤. قال النبي (ﷺ): [السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ] (البخاري، ١٤٢٢هـ، ٦٣/٩).

٥. قال النبي (ﷺ): [اللَّهُمَّ مَنْ وُلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَسَقَّ عَلَيْهِمْ فَاسْتَقَّ عَلَيْهِ، وَمَنْ وُلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَفَرَّقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ] (مسلم، ١٣٧٤هـ، ١٤٥٨/٣).

في ضوء هذه النصوص القرآنية والسنة النبوية الأنفة الذكر، تتبين أهمية القيادة ومكانتها بل وجوبها في حقّ من هو أهل لها، لما يترتب على ذلك من مصالح للمجتمع الإسلامي من تطبيق القواعد الإسلامية وإقامة حدودها، ولما يظهر ويبرز من مخالفة ذلك من شر وفساد للمجتمع، فلذلك يرى جمهور المسلمين أن نصب الخليفة - أي توليته على الأمة - واجب بالشرع، ومستندهم في هذا الإيجاب أمور:

أولاً: إجماع الصحابة (رضي الله عنهم) على تولية الخليفة حتى قدموا أمر البيعة على دفن الرسول (ﷺ).

ثانيا: إنّ ما هو واجب من إقامة الحدود وسدّ الثغور لا يتمّ إلا به، وما لا يتمّ الواجب إلا به فهو واجب.

ثالثا: إنّ في نصب الخليفة جلب المنافع ودفع المضارّ وهذا واجب بالإجماع (خلاف، ١٤٠٨هـ، ٦٠).

يقول العلامة ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) (رحمه الله) في هذا الصدد: "يجب أن يعرف أنّ ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين بل لا قيام للدين ولا للدنيا إلا بها، فإنّ بني آدم لا تتّم مصلحتهم، إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، ولا بدّ لهم عند الاجتماع من رأس" (ابن تيمية، ١٤١٨هـ، ١٢٩) والرسول (ﷺ) يقول: [إِذَا خَرَجَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ] (أبو داود، ١٤٣٠هـ، ٤/٢٤٩).

إنّ يعدّ موضوع القيادة من المواضيع المهمة التي تعتمد عليها وظائف إدارة الدولة كلها من الأعلى إلى الأدنى من توجيه وتنظيم وتخطيط؛ لذا وكما أشرنا في البداية إنّ القيادة أمر يطلبها الإنسان بعقله وطبيعته، وقد أشار إلى هذا المعنى العلامة ابن خلدون (ت: ٨٠٨هـ) (رحمه الله) في مقدمته حيث يقول: "إنّ الاجتماع إذا حصل للبشر وتمّ عمران العالم بهم، فلا بدّ من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم، وليست آلة السلاح التي جعلت دافعة لعدوان الحيوانات العجم عنهم، كافية في دفع العدو عنهم لأنها موجودة لجميعهم، فلا بدّ من شيء آخر يدفع عدوان بعضهم عن بعض، ولا يكون من غيرهم لقصور جميع الحيوانات عن مداركهم وإلهاماتهم، فيكون ذلك الوازع واحداً منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة لتلاّ يصل أحد إلى غيره بعدوان، وهذا هو معنى المُلْك" (ابن خلدون، ١٤٢٨هـ، ٦١).

نرى أنّ الاهتمام بـ - القيادة - ومكانتها والتوقف عليها يحتاج إلى الكتابة حولها أكثر مما كتبناه، إلا أنّنا اكتفينا بهذه النصوص وبهذا القدر كإشارة سريعة لطيفة لتلاّ تصير قصيرة مخلة ولا طويلة مملة.

المطلب الثاني: صفات القيادة في القرآن الكريم

الباحث في صفات القيادة في القرآن الكريم يرى أن القرآن قد اهتم بالإنسان وشخصيته في كل جانب أيما اهتمام، فلم يترك جانباً من جوانب حياته بل أولاه الأهمية والعناية، وركز عليه وبيّن ما هو الأهمّ فيه، ومن بين هذه الجوانب شخصيته القيادية وصفاته البارزة، فقد تضمن هذا الكتاب العظيم وتناول قصص الأنبياء الكرام (عليهم السلام) - وهم أعظم قادة البشرية وأصلحها على الإطلاق - كذلك ذكر سير الشخصيات القيادية البارزة في المجتمع، ومن سرد قصص الأنبياء وغير الأنبياء من القادة في القرآن الكريم نجد أنه تطرق لذكر صفاتهم القيادية وتعاملهم الإدارية مع من حولهم، لنستفيد منها ونقتبس الدروس والعبر، وبما أننا نشير إلى صفات القادة وفق المنظور القرآني ولا سيّما ما عرف عن صفات الأنبياء الكرام (عليهم السلام) فيه؛ لذا نركز على صفة الإيمان أو صفة الفطرة المباركة التي فطر الله (I) عليها الناس جميعاً، لئلاً ننسى تأكيد القرآن عليه، يقول الله (Ψ): [قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ] (الأنعام: ١٦٢-١٦٣)، فقد عرضت هذه الآية الكريمة حقيقة شخصية المسلم في الحياة وبعدها، فالمسلم حينما يقود يتذكر أنّ الله (Y) هو خالقه، وهو الذي منحه القدرات التي بها يقود، وعليه أن يقود وفق أوامر خالقه للأهداف التي حددها له (I)، ووفق الضوابط والحدود التي رسمها له، فلا شك أنّ العقيدة - أي الإسلام - هي المعنويات الغالية للإنسان (السويدان وباشراحي، ٢٠٠٤م، ١٧٩).

والإسلام هو دين الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين (عليهم السلام)، وقوله تعالى: [وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ] (٨٥) عام في كل زمان ومكان، فنوح وإبراهيم ويعقوب والأسباط وموسى وعيسى والحواريون كلّهم كانوا على دين الإسلام، الذي هو عبادة الله (Y) وحده لا شريك له (ابن تيمية، ١٤٠٥هـ، ٨٦-٨٨) والدليل على ذلك:

أ. قال تعالى عن سيدنا نوح (U): [وَإِئْتَلُّ عَلَىٰهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ ..] إلى قوله تعالى [وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ] (يونس: ٧١-٧٢).

ب. قال تعالى عن سيدنا إبراهيم (v): [إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ] (البقرة: ١٣١-١٣٢).

ج. قال تعالى عن سيدنا يعقوب (v) وبنيه: [أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ] (البقرة: ١٣٣).

د. قال تعالى عن سيدنا يوسف (v): [رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ] (يوسف: ١٠١).

هـ. قال تعالى عن سيدنا موسى (v): [وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ] (يونس: ٨٤).

و. قال تعالى عن سيدنا عيسى (v) والحواريون: [فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ] (آل عمران: ٥٢).

وتشير إلى أهم الصفات التي لا بد من توفرها في القائد المسلم وفق المنظور القرآني في النقاط الآتية:

١. الإسلام: أي لا بد أن يكون القائد مسلماً، وأن يكون من أبناء الأمة التي يقوم بأمرها، وهذه صفة ذات أهمية كبرى للقائد في المجتمع الإسلامي، بل تعدّ أولى وأهم الصفات فيه، كيف لا وهو يجتهد ويجعل تطبيق شريعة الله (ﷺ) في ممارساته الإدارية مع رعيته، من أولى اهتماماته وأهدافه القيادية في فترة رئاسته وإدارته للرعية، ولا يتوقع تحقيق هذا فيمن لم يعمر قلبه بالإيمان والإسلام! والإسلام هو الاستسلام لله وحده (ﷻ)، ومن استسلم له وحده فهو المسلم، والاستسلام له سبحانه وتعالى يتضمّن الاستسلام لقضائه، وأمره، ونهيه، فيتناول فعل المأمور، وترك المحظور، والصبر على المقدور (ابن تيمية، ١٤٢٠هـ، ٣٤٦/١-٣٤٧).

فهذه الصفة من أبرز الصفات التي يجب على القائد أن يتحلى بها، فهي سبب رئيس في تحقيق التقدم والتطور والوصول للأهداف السامية، لأنها سبب في المعية الربانية والعناية الإلهية للقائد وشعبه، ويؤكد القرآن في آيات كثيرة حقيقة أن الله (Ψ) مع المتقين.

٢. البلوغ, ٣. العقل: يجب على من يصبح قائدا بين المسلمين أن يكون بالغا من العمر مرحلة النضج ومستكملا لعقله, إذ لا يجوز تعيين القائد إلا بعد استكمال عقله وإتمام نموه, لذا فلا يصلح للقيادة الصبي والمجنون, يقول الله تبارك وتعالى في وصف نبيّه يوسف (v): [وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا] (يوسف: ٢٢) أي ولما بلغ سيدنا يوسف (v) واستكمل عقله وتم خلقه آتيناها النبوة (ابن كثير, ١٤٢٠هـ, ٣٧٨/٤), وكما جاء في وصف نبيّ الله موسى (v) أن الله (Y) لم يختره للنبوة إلا بعد أن استوى عقله واكمل, فيقول (Y): [وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا] (القصص: ١٤) أي المبلغ الذي لا يزيد عليه نشوؤه, وذلك من ثلاثين إلى أربعين سنة من العمر إذ أن العقل يكمل حينئذ (أبو السعود, ١٤١٤هـ, ٦/٧), والأشد: كمال القوة, والاستواء: كمال البنية (ابن عاشور, ١٩٨٤م, ٨٧/٢٠).

٤. العلم: هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع, وقال الحكماء: هو حصول صورة الشيء في العقل (الجرجاني, ١٤٠٣هـ, ١٥٥), ينبغي للقائد أن يتسلح بالعلم ويتحلى به, فالعلم عندنا كمسلمين بمعناه العام هو التفقه في الدين, ليميز بين الحرام والحلال أو الحق والباطل, وأن يتجنب عن الشهوات والشبهات حفظا لدينه ودينه, وبمعناه الخاص علم المهنة التي يريد قيادة العاملين فيها ومتابعة تطورات الحياة امتثالا لقوله تعالى: [وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا] (طه: ١١٤), وكثيرا ما نرى أن الله (I) يصف الأنبياء وغيرهم من القادة بالعلم في القرآن الكريم, فعلى سبيل المثال يقول الله (Ψ) في وصف سيدنا لوط (v): [وَلَوْطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا] (الأنبياء: ٧٤), وفي وصف داود وسليمان (عليهما السلام) يقول: [وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا] (النمل: ١٥), ويقول في وصف طالوت: [إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ] (البقرة: ٢٤٧) أي أن الله (Y) منحه سعة في العلم والمعرفة والعقل والإحكام في التفكير المستقيم, ومنحه جسماً

قويّاً ضخماً مهيباً، وهذه الصفات ما وجدت في شخص إلا وكان أهلاً للقيادة والريادة (طنطاوي، ١٩٩٨م، ١/٥٦٦)، الخلاصة أنّ العلم هنا ليس منحصرًا بالعلم بأمور الدين بل يشمل العلم بالإدارة وسياسة الناس، لذا يمكن القول بأن المقصود من (بسطة) في الآية أي بسطة في العلم والعمل.

٥. الشورى والعمل على وفقه: هذه الصفة من أهمّ دعائم القيادة الرشيدة وأسسها الأصيلة، فيستحيل على القائد أن يقود مجموعته أو مواطنيه دون أن يستعين بالشورى، وفي هذا الصدد مدح الله (I) المسلمين بأنهم: [وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ] (الشورى: ٣٨)، كما وجه الأمر الصارم للقيادة العليا النبيّ الأكرم (ﷺ) فيقول (I): [وَشَاوَرُهُمْ فِي الْأَمْرِ] (آل عمران: ١٥٩)، كذلك تمّ التطرق إلى معنى الشورى في عدد من قصص القرآن الكريم، فعلى سبيل المثال يحكي لنا القرآن قصة ملكة سبأ حينما قرأت رسالة أو كتاب سيدنا سليمان (ص) على وزرائها وأمرائها استشارتهم في الأمر، وما قد نزل بها (ابن كثير، ١٤٢٠هـ، ٦/١٨٨-١٨٩) فيقول الله (Y): [قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ] (النمل: ٣٢).

ولا شك أنّ السنة والسيرة النبوية مستفيضة ومليئة بأمر الشورى، فقد شاور النبيّ (ﷺ) أزواجه وأصحابه (ﷺ) في أمور كثيرة، منها ما يتعلق ببعض الأمور الخاصة والعامة أو الأسرية والاجتماعية، ومنها ما يتعلق بشأن الدولة - السياسة والعسكرية - وغيرها (الغضبان، ١٤١٣هـ، ٤١٢-٤١٤).

وأخيرا ينبغي أن نشير إلى شيء ملفت للنظر وهو أنّ الفقهاء اختلفوا في حكم الشورى هل هي ملزمة للحاكم أو القائد، أو اختيارية، وهل نتیجتها ملزمة أو اختيارية أيضاً؟ كما يأتي:

أ. قال جماعة: إنّ الشورى فيما لم ينزل فيه وحى في مكاييد الحروب وعند لقاء العدو اختيارية، تطيبها للنفوس ورفعاً للأقدار، وتألّف على الدين؛ لقوله تعالى: [فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ] (آل عمران: ١٥٩) والعزم من الحاكم قد يكون على رأيه أو رأي المستشارين، ولأنّ أبا بكر (ر) حينما استشار الناس بمحاربة المرتدين، لم ير غالبية المسلمين ومنهم عمر (ر) قتالهم، وأخذ أبو بكر (ر) برأيه

الذي لم يفرّق بين الصلّاة والزكاة قائلاً: [وَاللّٰهُ لَوْ مَنَعُونِي عَقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَيَّ
رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) لَفَاتَنَلْتُهُمْ عَلَى مَنَعِهِ] (البخاري، ١٤٢٢هـ، ٩٣/٩، ومسلم،
١٣٧٤هـ، ٥١/١).

ب. قال آخرون: إنّ الحاكم ملزم برأي أغلبية المستشارين من أهل الحل
والعقد عملاً بالأوامر القرآنية، ويصبح الأمر عديم الأثر إذا لم يلزم الحاكم
بنتيجتها، وقد عمل بها رسول الله (ﷺ) وصحابته الراشدون (رضي الله عنهم) من بعده
(الجصاص، ١٤٠٥هـ، ٣٢٩/٢-٣٣٠، القرطبي، ١٣٨٤هـ، ٤/٢٥٠-٢٥١،
الزحيلي، ١٤١٨هـ، ٦٢٠٣/٨-٦٢٠٤).

بعد هذا العرض الوجيز لرأي العلماء وتوجهاتهم نحو عملية الشورى، نرى
أنّ الرأي الثاني أي إلزام الحاكم أو القائد بنتيجة الشورى أولى من الرأي الأول
لكي تسير الأمور وفق الحكمة ومصلحة العامة ولئلا يحدث الاستبداد والظلم،
ولأن الشورى أصل من أصول حكم الإسلام بل ويقوم عليه ويتميز به والله أعلم.

٦. الأمانة والزهد فيما عند الرعية: ونقصد بذلك عدم الاعتداء على الملك
العام، وهذه الصفة لا بدّ من توافرها في القائد كما يتجلى ذلك في القرآن الكريم،
يقول الله (Y) في وصف زهد الملك الصالح ذي القرنين - حين عرض عليه
قومه مالا ليبيني لهم سدا -: [قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي
الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا] (٩٤) قَالَ مَا
مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ [الكهف: ٩٤-٩٥] قال لهم ذو القرنين: إنّ ما مكّني فيه ربي
من بسطة الملك والسلطان ووفرة المال خير مما تبذلونه لي من الخراج فلا
حاجة بي إليه (المراغي، ١٣٦٥هـ، ١٨/١٦)، وهذا نحو ما قاله نبيّ الله سليمان
(ص): [فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ]
(النمل: ٣٦)، فالقائد مسؤول عن أحوال رعيته لا يستغل ظرفهم ليجمع ما معهم
ويطلب منهم ما يشاء لمساعدتهم، بل يزهد فيما عندهم ويعلم أنّ هذا واجب عليه
وليس مكرمة منه لهم، هذا ولا بد من الاتصاف بالأمانة وقد ذكر القرآن ذلك في
آيات منها قوله تعالى: [إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ] (القصص: ٢٦).

٧. الإيجابية: المراد بالإيجابية حسن التوكل على الله وحسن الظن والثقة به، فالناظر في قصص الأنبياء الكرام في القرآن الكريم يرى أنهم جميعاً اتسموا بهذه الصفة العظيمة، فعلى سبيل المثال نرى أن سيدنا يونس (U) ينجي ربه في بطن الحوت، وسيدنا يعقوب (U) مؤمن بعودة ابنه الاثنين، وسيدنا أيوب (U) يدعو ربه أثناء مرضه باستمرار، وسيدنا موسى (U) في أخرج ظروفه ينادي قومه [كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ] (الشعراء: ٦٢)، ونبينا محمد (ﷺ) يقول لصاحبه في الهجرة [لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا] (التوبة: ٤٠)، فإنهم جميعاً لم ييأسوا من رحمة الله (I)، لذا مهما تعطلت الأسباب واختلت التوازنات، يأتي القائد في أسوأ الظروف ليزرع الأمل والثقة بالله (I) في نفس شعبه، حتى يصبح - القائد - الضياء الذي يُبِير الطريق لمن معه للوصول إلى الهدف المطلوب والغاية المنشودة.

٨. الإصلاح: لا شك أن الأنبياء (عليهم السلام) جميعهم بُعثوا وأرسلوا إلى أممهم لإصلاح حالهم في كل المجالات الدينية والدنيوية، وأنهم جميعاً مشاركون في هذه العملية العظيمة والمهمة الصعبة والقضية المباركة، كما يتبين ذلك بوضوح في قصصهم لا سيما دعوتهم للناس إلى التوحيد وتطبيق الشريعة وتحذيرهم من الفساد بمفهومه العام، فعلى سبيل المثال يروي لنا القرآن الكريم قصة نبي الله شعيب (U) فيقول في جواب قومه: [إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَنْطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ] (هود: ٨٨)، كما حسم سيدنا شعيب (U) أطماع الكفار، سواء في العقيدة أو في صلاح التعامل، وأعلن ثباته على مبدئه بقوله: [إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَنْطَعْتُ] أي ما أريد إلا فعل الإصلاح وإزالة الفساد، وهو أن تصلحوا دنياكم بالعدل والقسط، وأخرتكم بالعبادة والطاعة، ولم يتزحزح عن موقفه في توحيد الله تعالى ولم ينتح عنه: [أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي] (هود: ٨٨) وثقته به وتفويض أمره إليه ورجوعه إليه في النوائب كلها، واعتماده في الرشد والتوفيق عليه: [وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ] (الزحيلي، ١٤١٨ هـ، ١٣٤/١٢).

هذا هو موقف سيدنا شعيب (U) مع قومه؛ وقد شارك الأنبياء (عليهم السلام) جميعهم وكما يؤخذ من قصصهم في الإصلاح ودعوة الناس إليه، وفي

هذا إشارة إلى أنّ القائد متى ما أخلص نيّته ونوى الإصلاح فيما وكل إليه وما لديه كان التوفيق حليفه بإذن الله تعالى.

٩. التقوى: إنّ مفهوم التقوى مفهوم واسع تتدرج ضمنه صفات كالصبر والعدل والتواضع مما نذكرها أدناه:

أ. الصّبر: الصبر صفة هامة وهو ضبط النفس, كلّ إنسان محتاج إلى أن تتوافر فيه هذه الصفة بمختلف مستواه ومكانته الاجتماعية والعلمية والمهنية, لذا يعدّ من أجلّ وأعظم صفات القيادة ونجاحها لتحقيق أهدافها, يدلّ على قوة الإرادة التي تمكّن القيادة لتحمل الآلام والمتاعب والمشاق, ولقد أمر الله (ﷺ) نبيّه (ﷺ) أن يصبر كما صبر إخوانه من الرّسل فيقول: [فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَرْشِ مِنَ الرُّسُلِ] (الأحقاف: ٣٥), فالصبر زمام سائر الخصال وملاك كلّ فضيلة وإحسان, به ينال الإنسان كلّ خير يقول الله (Y): [وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ] (آل عمران: ١٨٦).

يرى الباحثان أنّ النّصر والفوز في الحياة يتوقفان على الصّبر في الحالات أكثرها, لأنّ مفهوم الحياة المعاناة والجّد والاجتهاد, فمن لم يصبر لا يذق طعم النّصر والفوز ولا يأتيه الفرج! يقول الباري (I): [وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنهَاهُمْ نَصْرُنَا] (الأنعام: ٣٤).

ب. العدل: العدل صفة من صفات الباري (I), وهو مطلب رئيس في الشريعة الإسلامية وواجب على الرعاة من القضاة والولاة والقيادات ونحوهم, فقد شدّد القرآن الكريم على هذه الصفة المهمة حيث أمر المسلمين بالعدل في الأحكام والأقوال والأفعال والأخلاق, وقد نصّ عليها في آيات عدة, فعلى سبيل المثال:

□ قال تعالى: [وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ] (النساء: ٥٨).

□ قال تعالى: [وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ] (الأنعام: ١٥٢).

□ قال تعالى: [إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ] (النحل: ٩٠).

□ قال تعالى: [وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ] (المائدة: ٨).

ففي هذه الآية الأخيرة حثَّ القرآن الكريم المسلمين على العدل حتى مع الأعداء، ويمكننا التعبير عن العدل بكلمة أخرى وهي أن يحب الإنسان لأخيه ما يحب لنفسه، ودلت الآية على أنَّ كفر الكافر لا يمنع من العدل عليه، وأن يقتصر بهم على المستحق من القتال والاسترقاق، وأنَّ المثلَّة بهم غير جائزة وإنَّ قتلوا نساءنا وأطفالنا وغمونا بذلك، فليس لنا أن نقتلهم بمثلَّة قصدا لإيصال الغم والحزن إليهم (القرطبي، ١٣٨٤ هـ، ٦/١١٠).

والحكم بالعدل يحتاج إلى أمور:

١. فهم الدعوى من المدعى والجواب من المدعى عليه، ليعرف موضوع النزاع والتخاصم بأدلته من الخصمين.

٢. خلو الحاكم من التحيز والميل إلى أحد الخصمين.

٣. معرفة الحاكم الحكم الذي شرعه الله (Ψ) ليفصل بين الناس على مثاله من الكتاب أو السنة أو إجماع الأمة.

٤. تولية القادرين على القيام بأعباء الأحكام (المراغي، ١٣٦٥ هـ، ٥/٧١).

لذا تُعدَّ إقامة العدالة بين الناس في الشريعة الإسلامية من أهمِّ الواجبات وأفضلها، وعلى القائد أن يحكم بالعدل لأنَّ الإسلام لا يقبل قائدا جائرا قال تعالى: [وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ] (المائدة: ٤٢) فالعدل أساس الملك.

ج. التواضع: مهما ترقى الإنسان، فلا بدَّ أن لا يتكبر في معاملته مع من حوله ولو بلغ مرتبة عالية في حياته الدنيوية بل ينبغي أن يكون قدوة لهم في خفض الجناح والتواضع، وقد نبه الله (Y) في عدة آيات على التحلي بهذه الصفة العظيمة، منها قوله (I) للمؤمنين: [تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا

يُرِيدُونَ غُلُوقًا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ [القصص: ٨٣] فالله يرشدهم ويوجههم نحو هذه الصفة بنهيمهم عن التكبر والبحث عن العلو، ومنها قوله سبحانه للرسول الأكرم (ﷺ) القائد الأول: [وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ] [الشعراء: ٢١٥]، وكان (ﷺ) حقًا في غاية التواضع مع أزواجه الطاهرات وأصحابه الكرام (ﷺ)، فهو (ﷺ) يخصف نعله، ويرقع ثوبه، ويحلب الشاة لأهله، ويعلف البعير، ويأكل مع الخادم، ويجالس المساكين، ويمشي مع الأرملة واليتيم في حاجتهما، ويبدأ من لقيه بالسلام، ويجيب دعوة من دعاه ولو إلى أيسر شيء (ابن قيم الجوزية، ١٤١٦ هـ، ٣١٣/٢).

يرى الباحثان أنّ التواضع يعدّ من أهم أسباب قبول القائد لدى رعيته أو من حوله، وهي ميزة تكسب بها القائد المحبة والموقية والقوة، وهذا ظاهر بوضوح في معظم قصص الأنبياء (عليهم السلام) المذكورة في القرآن الكريم.

١٠. الشجاعة: هي القدرة على اتخاذ القرارات الحاسمة، تعدّ هذه الصفة من أهم صفات القائد، لأنّ الجبان لا يليق بمنصب القيادة ولا يتأهل لها، لأنّ الجبن من أخس الصفات وأحقرها ويدعو إلى التراجع وعدم الإقدام، الشجاعة هي من الخواص العقلية التي قد تشعر بالخوف من الخطر ولكنها تمكن الإنسان من الاستمرار في مواجهة ذلك بهدوء، والتصرف كما يجب في الظروف الحرجة مع تحمل الآلام والجهد والمشاق، فيجب على القائد أن يتمتع بالشجاعة الأدبية والبدنية والوقوف على جانب الحقّ مهما كانت الظروف ومهما كانت المعارضة شديدة (لهلوب والصرايرة، ١٤٣٢ هـ، ٧٨).

إنّ في قصص الأنبياء كلّهم (عليهم السلام) أسوة حسنة للقائد، فعلى سبيل المثال يقصّ القرآن الكريم لنا كيف أن سيدنا إبراهيم (U) جابه قومه وواجههم منفردا يدعوهم إلى الإيمان ويظهر لقومه من ثبات الجأش وقوة القلب عندما خوفوه بالهتهم وضررها عليه إن لم يؤمن بها، قال بلسان الواثق الشجاع الذي لم يتردد: [وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يُشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ] [الأنعام: ٨٠]، هؤلاء قوم إبراهيم (U) جاءوا يجادلونه ويحاجونه وهم على هذا الوهن الظاهر في تصوراتهم وفي ضلال مبين، ولكن إبراهيم (U) المؤمن الذي وجد الله في

الوجود كلّه من حوله وفي عقله وقلبه، يواجههم مستنكراً في سكينه وطمأنينة [قَالَ أَنَحَاجُوتِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ] أتجادلونني في الله؟ فما جدالكُم في أمر أنا أجده في نفسي ولا أطلب عليه الدليل والبرهان، وكيف يخاف من وجد الله؟ وماذا يخاف وممن يخاف؟ وكل قوة- غير قوة الله (Y) - هزيلة وكل سلطان- غير سلطان الله - لا يُخاف (سيد قطب، ١٤١٢هـ، ١١٤١/٢-١١٤٢).

وفيما يروى عن رسول الله (ﷺ) أنّه قد استعاذ من الجُبْن في أكثر من موطن، فكان يقول (ﷺ): [اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْهَرَمِ، وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ] (البخاري، ١٤٢٢هـ، ٧٩/٨، ومسلم، ١٣٧٤هـ، ٢٠٧٩/٤) واللفظ لمسلم.

وكان رسول الله (ﷺ) أشجع الناس كما يصفه صاحبه وخادمه أنس بن مالك (رضي الله عنه) فيقول: [كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) أَحْسَنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَشَجَعَ النَّاسِ] (مسلم، ١٣٧٤هـ، ١٨٠٢/٤).

١١. الذكورة: هذه الصفة في القيادة محل نقاش وتساؤل فهل تعدّ الذكورة من صفات القيادة أم لا؟ هذا سؤال لا بدّ له من جواب، فلا بدّ من الإشارة إلى رأي علماء الإسلام وفقهائه تجاه تولّي القضاء والمناصب العليا والإمامة من قبل المرأة المسلمة؛ إذ أنّ من المعلوم أنّ العلماء مختلفون في مسائل كثيرة في القضايا الفقهية وغيرها ومنها اختلافهم في هذه المسألة، فبعض العلماء اشتهرُوا الذكورة في القائد وأجاز بعضهم ولاية النساء! نورد فيما يأتي بعض الشواهد على جواز تولي المرأة أو عدم جوازه من النصوص القرآنية والسنة النبوية:

أ. يقول الله (Y): [وَأَلْهَنَّا مِثْلَ الَّذِي عَلِيهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ] (البقرة: ٢٢٨).

ب. يقول الله (Y): [الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ] (النساء: ٣٤).

ج. يقول الله (Y): [أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ] (يونس: ٢).

د. يقول الله (Y): [وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ] (النحل: ٤٣).

هـ. يقول الرسول الأعظم (ﷺ): [لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَوْ أَمَرَهُمْ امْرَأَةٌ] (البخاري، ١٤٢٢هـ، ٨/٦).

ومنشأ الخلاف راجع إلى تفاسير العلماء وشروحهم لهذه النصوص وغيرها، فهل يجوز أن تقوم المرأة بهذه المهام الصعبة وتتولّى المناصب العليا أم لا؟ فقال الأئمة الثلاثة - مالك (ت: ١٧٩هـ) والشافعي (ت: ٢٠٤هـ) وأحمد (ت: ٢٤١هـ) (رحمهم الله) -: لا يصحّ أن تلي المرأة القضاء؛ لأنها تنقص عن كمال الولايات وقبول الشهادات (أبو يعلى الفراء، ١٤٢١هـ، ٦٠)، وقال الإمام الأعظم أبو حنيفة (ت: ١٥٠هـ) (رحمه الله): يصحّ أن تكون قاضية في كل شيء تقبل فيه شهادة النساء، وعنده أنّ شهادة النساء تقبل في كل شيء إلا في الحدود والجراح، فهي عنده تقضي في كلّ شيء إلا في الحدود والجراح، وقال ابن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) (رحمه الله) يصحّ أن تكون قاضية في كلّ شيء (المنهاجي، ١٤١٧هـ، ٢/٢٩٠).

أمّا بالنسبة للرئاسة فذهب جمهور علماء المسلمين - قديما وحديثا ممن يعتد بأرائهم ومذاهبهم - إلى أنه لا يجوز إسناد الرئاسة العامة للمسلمين - بأيّ شكل كانت - إلى المرأة، وذلك لما ورد في الكتاب والسنة والإجماع والقياس والتاريخ الإسلامي من منع المرأة من ذلك (باجلان، ١٤٣٣هـ، ٤١٣-٤١٤)، إذ أنّ الإسلام يحتم أن تكون رئاسة الدولة العليا للرجل، وفي ذلك يقول الرسول الأعظم (ﷺ): [لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَوْ أَمَرَهُمْ امْرَأَةٌ] (تقدم تخريجه)، فمورد الحديث راجع إلى أنّه حين بلغ الرسول (ﷺ) أنّ الفرس ولّوا للرئاسة عليهم إحدى بنات كسرى بعد موته، ونصّ الحديث كما نفهمه صريح في منع المرأة من رئاسة الدولة العليا، ويلحق بها ما كان بمعناها في خطورة المسؤولية من أنّ رئيس الدولة في الإسلام ليس صورة رمزية للتوقيع والشكليات فقط، وإنما هو

لسانه الناطق، ووجهه البارز، وقائد المجتمع ورأسه المفكر، وله صلاحيات واسعة خطيرة الاثار والنتائج، فهو الذي يعلن الحرب على الأعداء، ويقود جيش الأمة في ميادين الكفاح، ويقرر المهادنة والسلم، إن كانت المصلحة فيهما، أو الحرب والاستمرار فيها إن كانت المصلحة تقتضيها، وطبيعي أن يكون ذلك كله بعد استشارة أهل الحل والعقد في الأمة، عملاً بقوله تعالى: [وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ] (آل عمران: ١٥٩)، فالقائد في الإسلام مبلغ لقرار أهل الحل والعقد وليس منشئاً له ويرجح ما اختلفوا فيه، عملاً بقوله تعالى بعد ذلك: [فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ] (آل عمران: ١٥٩).

ومما لا ينكر أنّ هذه الوظائف الخطيرة لا تتفق مع تكوين المرأة النفسي والعاطفي لا سيّما ما يتعلق بالحروب وقيادة الجيوش، إذ أنّ ذلك يقتضي قوة الأعصاب، وتغليب العقل على العاطفة، والشّجاعة في خوض المعارك ورؤية الدماء، وإذا وجدت في التاريخ نساء قدن الجيوش، وخضن المعارك، فإنهنّ من النّدرّة والقلّة وكانت قيادتهن بجانب الرجال مما لا يصحّ أن يتناسى معه طبيعة الجمهرة الغالبة من النّساء في عصور التاريخ كلها وفي الشعوب أجمعهم، وليس ذلك مما يضّرّ المرأة في شيء، فالحياة لا تقوم كلها على نمط واحد من الغلظة والقسوة والعبوس والقوة، ولو كانت كذلك لكانت جحيماً لا يطاق، ومن رحمة الله (Y) أنّه سبحانه وتعالى مزج قوة الرّجل بحنان المرأة، وقسوته برحمتها، وشدّته بلينها، وفي حنانها ورحمتها وأنوئتها سرّاً بقائها وسرّاً سعادتها وسعادتنا (السباعي، ١٤٢٠هـ، ٣٣-٣٥)، هذا والنقاش دائر في وقتنا الحالي حول هذه المسألة لأنّ المرأة في بعض المجتمعات قد تبوّأت مراكز قيادية رفيعة، وإذا سرنا مع القول القائل بجواز قيادة المرأة لا نكون مجانيين للصواب لأن أصحاب هذا الرأي لهم أدلتهم.

وأما إمامتها في الصلاة وخطبتها يوم الجمعة قضية أخرى إذ لا يُنكر أنّ العبادة في الديانات - لا سيّما في الإسلام - تقوم على خلو الذهن من كلّ ما يشغله والخشوع، وليس مما يتفق مع ذلك أنّ تؤم الرجال امرأة في الصلاة وتعظمهم يوم الجمعة، بل اتفق جمهور العلماء على عدم جواز إمامتها (الشافعي، ١٤١٠هـ، ١/١٩١، ابن رشد، ١٤٢٥هـ، ١/١٥٥، ابن عابدين، ١٤١٢هـ، ١/٥٥٠).

نرى أنّ ما ذهب إليه جمهور العلماء هو الأصل في هذه المسألة، لأنّ المرأة وإن كانت فيها طاقة فائقة ولها صمود في مشاركة الحياة مع الرجال، إلا أنّ لها ميادين ليس للرجال مشاركتها فيه أيضاً، فبعض ميادين الحياة لها خصوصية بالرجال ولم تدخلها النساء عبر التاريخ إلا نادرة ومنها القيادة العسكرية.

على الرغم مما ذكرنا من الصفات في ضوء القرآن الكريم وآياته يرى بعض الكُتّاب المعاصرين أنّ صفات القائد الإسلامي محصورة في أربعة فقط وهي:

□ الإيمان والتوحيد: وهذا يعني وجود عقيدة راسخة لديه، وأن يكون هدفه الأسمى هو الدار الآخرة، والتوكل على الله سمته البارزة ولا يتوكل على ذكائه.

□ الإلتباع: يعني الإقتداء بالنبي (ﷺ)، وأن يلتزم بحدود الشرع، ولا يقصد الاجتهاد البشري.

□ التزكية: تشمل الاستقامة، والاستغفار، والاتصال بالقرآن والسنة، والارتباط بالآخرة.

□ الاستخلاف: أي أن يكون هدفه الدنيوي عمارة الأرض لا فسادها وخرابها (السويدان وباشراحيل، ٢٠٠٤م، ١٧٩-١٨٦).

وختاماً نرى أنّ لكلّ واحدة من هذه الصفات التي أشرنا إليها أمثلة وشواهد في سير الأنبياء (عليهم السلام) والقادة العظماء عبر التاريخ؛ ولكننا قد اكتفينا بذكر بعض أمثلة من سيرة رسول الله (ﷺ) العطرة الشريفة، ففيها ما يتخذ مثالا واضحا على هذه الصفات الكريمة النبيلة، ومع ذلك كلّه فالذي يبدو لنا وملفت للنظر أنّ الشخصية القيادية تكون فطرية تارة وتكون مكتسبة تارة أخرى، أو بعبارة أخرى أنّ بعض صفاتها فطرية وبعضها مكتسبة وقابلة للتعلم.

هذا وينبغي التأكيد على أنّ توفر هذه الصفات - كلّها - في شخص واحد - لا سيّما - في زماننا هذا غير ممكن فالأمر نسبي، وأبرز ما تقتضيه القيادة من

صفات في أيامنا هذه هي العلم بإدارة البلاد والحكم بالعدل والمحافظة على دين الأمة وقيمها وخدمة العباد والبلاد.

المطلب الثالث: مقومات القيادة في القرآن الكريم

إن من مقومات القيادة القوة والأمانة فهما ركنان أساسيان للقيادة، ينبع هذا الفهم لمقومات القيادة من منهل القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، إذ أنهما قد تكررتا في عدة قصص القرآن الكريم، على سبيل المثال:

أ. وردنا في حق سيدنا موسى (ص) في قوله تعالى: [إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ] (القصص: ٢٦).

ب. قال صاحب مصر لسيدنا يوسف (ص): [إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ] (يوسف: ٥٤).

ج. وقد خاطب الله (Ψ) نبيه يحيى (ص) بقوله: [يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ] (مريم: ١٢).

د. كما جاء في صحيح السنة النبوية: [عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ)، أَلَا تَسْتَعْمَلُنِي؟ قَالَ: فَضْرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي، ثُمَّ قَالَ (ﷺ): يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا] (مسلم، ١٣٧٤هـ، ١٤٥٧/٣)، وجاء في رواية أخرى يقول النبي (ﷺ) له: [يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي، لَا تَأْمُرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلَا تَوَلِّينَنَّ مَالَ يَتِيمٍ] (مسلم، ١٣٧٤هـ، ١٤٥٧/٣).

والقوة في كل ولاية وقيادة بحسبها، فالقوة في إمارة الحرب ترجع إلى شجاعة القلب، وإلى الخبرة بالحروب، والمخادعة فيها - [فَإِنَّ الْحَرْبَ خَدْعَةٌ] (البخاري، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠/٤، ومسلم، ١٣٧٤هـ، ٧٤٦/٢) - وإلى القدرة على أنواع القتال، والقوة في الحكم بين الناس ترجع إلى العلم بالعدل الذي دل عليه القرآن الكريم والسنة النبوية، وإلى القدرة على تنفيذ الأحكام وتطبيقها.

والأمانة ترجع إلى خشية الله (Y) والشعور برقابته، وترك خشية الناس والخوف من لومهم، وألا يشتري بآياته ثمنا قليلا، وهذه الخصال الثلاث الفاضلة التي أخذها الله (Y) على كل من حكم على الناس في قوله تعالى: [فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَاحْشَوْا اللَّهَ وَلَا تَنْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ] (المائدة: ٤٤)، واجتماع القوة والأمانة في الناس قليل، فالواجب في كل ولاية وقيادة الأصلح بحسبها، فإذا تعين رجلان أحدهما أعظم أمانة والآخر أعظم قوة، قدم أنفعهما لتلك الولاية أو القيادة، وأقلهما ضررا فيها، فيقدم في إمارة الحروب الرجل القوي الشجاع - وإن كان فيه فجور - على الرجل الضعيف العاجز، وإن كان أمينا، كما سئل الإمام أحمد (ت: ٢٤١هـ) (رحمه الله) عن الرجلين يكونان أميرين في الغزو، وأحدهما قوي فاجر والآخر صالح ضعيف، مع أيهما يُغزى؟ فقال: "أما الفاجر القوي فقوته للمسلمين وفجوره على نفسه، وأما الصالح الضعيف فصلاحه لنفسه وضعفه على المسلمين فيغزى مع القوي الفاجر" (ابن تيمية، ١٤١٦هـ، ٢٨/٢٥٣-٢٥٥).

هذا ويرى بعض الباحثين كما يشير بعض الدراسات الحديثة إلى أن القيادة في الإسلام تركز على بعض المقومات الأخرى وهي راسخة الجذور والمعاني، سواء أكانت من القرآن والسنة أم من السياسة الشرعية المستنبطة منهما، ومن أهم هذه المقومات التي ينبغي للقائد أن يعتمد عليها ما يأتي:

١. الشورى: وهو ركن عظيم أكد عليه القرآن الكريم في آيات عديدة ومواقع عدة، بل حتى سميت سورة في القرآن الكريم به، ثم عمل به الرسول الأعظم (ﷺ) ولم يكن أحد أكثر مشورة لأصحابه منه (ﷺ)، وهذا كله يدفع القائد المسلم إلى أن يجعل الشورى نصب عينيه.

٢. القدوة الحسنة: لابد للقائد أن يكون عمليا وأن ينزل إلى الميدان مع من هم تحت إمرته ليشاهدوا أنه يتحمل المسؤولية، ومشاركته (ﷺ) للصحابة (رضي الله عنهم) في حالتي السلم والحرب وحفر الخندق خير شاهد على ذلك.

٣. الكياسة والفطنة: فالقائد المسلم لا بد أن يكون واسع الأفق والإدراك لما يدور حوله، ولما يريد تنفيذه من خطط ومشاريع وأهداف، وإذا علم من تحت قيادته بما يمتاز من الكياسة والفطنة زادت به الثقة ومالت إليه الأفئدة، واستطاع تحقيق الأهداف بخير وسلام.

٤. الكفاءة الإدارية: تعد الكفاءة الإدارية ركناً مهماً، فعلى القائد العمل الجاد والمستمر في تنميتها، ومن وسائل ذلك التزود بالعلم والخبرات التي مرت بها الإدارات المماثلة والتدرب عليها (لهلوب والصررايرة، ١٤٣٢هـ، ٧٦-٧٨).

٥. الرؤية المستقبلية: تتضح هذه الرؤية من خلال وضوح الهدف، وقراءة المستقبل لتحقيقه، والتحلي بالتفاؤل والصبر، وذلك ما يؤخذ من قول الرسول الكريم (ﷺ): [إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّى يَغْرَسَهَا فليَغْرَسَهَا] (البخاري، ١٤٠٩هـ، ١/١٦٨)، وكذلك جوابه (ﷺ) لَمَلِكِ الْجَبَلِ فِي الطَّائِفِ: [بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا] (البخاري، ١٤٢٢هـ، ٤/١١٥، ومسلم، ١٣٧٤هـ، ٣/١٤٢٠).

٦. الأتباع المخلصون: ربّما يتوقف إنجاز أهداف القائد عليهم، وعلى قدر إخلاصهم تكون سرعة الإنجاز، وهذا يتبلور بوضوح في حياة رسول الله (ﷺ) مع أصحابه (ﷺ).

٧. التشجيع والتحفيز: وله أشكاله ونظرياته من أجل الاستمرار في تحقيق الأهداف، كما تتفاوت طبيعة الأفراد من حيث استجاباتهم للعوامل التي تؤثر على حافزيتهم، لذا فإنّ عملية التحفيز تعدّ من أهمّ أركان القائد الناجح، وعلى قدر نجاحه في تحفيز الآخرين سيكسب احترامهم وثقتهم وحبّهم وإنتاجهم، ولذلك نجد النبي (ﷺ) يوجه كلّ شخص من أصحابه (ﷺ) إلى ما يناسبه من مهارات وقدرات وذلك من خلال معرفة المفتاح المناسب له (السويدان وباشراحيل، ٢٠٠٤م، ٧٠-٩٦)، كما يرى ذلك في فتح مكة (ابن قيم الجوزية، ١٤١٥هـ، ٣/١١٠).

بعد هذا كله يرى الباحثان أنّ القادة في عصرنا الحاضر إذا توافرت فيهم هذه المقومات المشار إليها - فيما سبق - لتطورت المؤسسات والدول، ويصل التصاعد الصناعي والرقمي الحضاري عندهم إلى درجة الاكتفاء الذاتي لبلدانهم - لا سيّما في عالمنا الإسلامي - فالمأمول أن يصل بلداننا إلى مرتبة أعلى مما ينتظر ويتوقع، ليسعد أفراد المجتمع بجميع شرائحه وأطيافه، لأنّ أصالة القيادة مرتبطة بتطبيق مقوماتها وأركانها كما هي متوقفة عليها.

الخاتمة: وفي الختام يمكننا أن نستخلص عدة نتائج وتوصيات مما توصلنا إليها خلال هذا البحث وكما يأتي:

أولاً: النتائج:

١. يمكننا اختيار تعريف مختصر شامل للقيادة بين تعاريف عدة، أي أنّ مفهوم القيادة عبارة عن: القدرة على تحريك الناس نحو هدف ما.

٢. القرآن الكريم لم يركّز على الألفاظ والأسماء بقدر ما ركّز على المعاني، لذا لم يأت مصطلح القيادة - بل حتى مشتقاتها - في أي آية من سور القرآن، إنما وردت ألفاظ أخرى تدل على معنى القيادة ومفهومها مما لها ارتباط وصلة بلفظ القيادة من حيث المفهوم والمعنى.

٣. القيادة أمر يؤكد عليه القرآن الكريم، ويراه ضرورية، ويطلبه الإنسان بعقله الإداري وطبيعته الاجتماعية لما فيه تحقيق المصالحة حتى يقام العدل به، إذن لا بدّ للمجتمعات البشرية من قيادة تنظم شؤونها وتقوم بإقامة العدل بينها.

ثانياً: التوصيات:

١. نوصي قادة مجتمعنا - في أي مجال من مجالات الحياة وفي أي منصب من مناصب الإدارة - بالرجوع إلى كتاب الله (Y)، إذا أرادوا الرقي الصناعي والحضاري، لأن مفتاح التقدّم والتطوّر فيما وارد في القرآن الكريم.

٢. نوصي أصحاب السلطة والسيادة والريادة إذا أرادوا السعادة لشعبهم فعليهم باستنباط صفات القيادة الناجحة في القرآن الكريم والتحلي بها، وتطبيق

مقوماتها في واقعهم الحاضر, لأنّ أصالة القيادة مرتبطة بتطبيق أركانها ومقوماتها ومتوقف عليها.

المصادر:

بعد القرآن الكريم

- الأزهرى محمد بن أحمد, (٢٠٠١م), تهذيب اللغة, تحقيق: محمد عوض, ط١: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- الأصفهاني الحسين بن محمد المعروف بالراغب, (١٤١٢هـ), المفردات في غريب القرآن, تحقيق: صفوان عدنان الداودي, ط١: دار القلم - بيروت.
- باجلان د. جمال محمد, (١٤٣٣هـ), المرأة في الفكر الإسلامي, ط١: دار المعرفة - بيروت.
- البخاري محمد بن إسماعيل بن إبراهيم, (١٤٠٩هـ), الأدب المفرد, تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي, ط٣: دار البشائر الإسلامية - بيروت.
- البخاري محمد بن إسماعيل بن إبراهيم, (١٤٢٢هـ), صحيح البخاري, تحقيق: محمد زهير الناصر, ط١: دار طوق النجاة - بيروت.
- بصوص أحمد عبد ربه, (١٩٨٨م), فن القيادة في الإسلام, ط١: مكتبة المنار - الأردن.
- ابن تيمية أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام, (١٤٠٥هـ), الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان, تحقيق وتخريج: عبد القادر الأرناؤوط, مكتبة دار البيان - دمشق.
- ابن تيمية أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام, (١٤١٦هـ), مجموع الفتاوى, تحقيق: عبد الرحمن محمد قاسم, مجمع الملك فهد - المدينة النبوية.

- ابن تيمية أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام, (١٤١٨هـ), السياسة الشرعية, ط١: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف - السعودية.
- ابن تيمية أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام, (١٤٢٠هـ), النبوات, تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان, ط١: أضواء السلف - الرياض.
- الجرجاني علي بن محمد بن علي, (١٤٠٣هـ), التعريفات, تحقيق: جماعة من العلماء, ط١: دار الكتب العلمية - بيروت.
- الجصاص أحمد بن علي أبو بكر الرازي الحنفي, (١٤٠٥هـ), أحكام القرآن, تحقيق: محمد صادق القمحاوي, دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- الجوهري أبو نصر إسماعيل بن حماد, (١٤٠٧هـ), الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية, تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار, ط٤: دار العلم للملايين - بيروت.
- أبو حيان محمد بن يوسف بن علي الأندلسي, (١٤٢٠هـ), البحر المحيط في التفسير, تحقيق: صدقي محمد جميل, دار الفكر - بيروت.
- أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى, (١٤١٤هـ), تفسير أبي السعود, دار إحياء التراث - بيروت.
- خلاف عبد الوهاب, (١٤٠٨هـ), السياسة الشرعية في الشؤون الدستورية والخارجية والمالية, دار القلم - سوريا.
- ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد بن محمد, (١٤٢٨هـ), مقدمة ابن خلدون, اعتنى به: هيثم جمعة هلال, ط١: مؤسسة المعارف - بيروت.
- أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني, (١٤٣٠هـ), سنن أبي داود, تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد كامل قره بللي, ط١: دار الرسالة العالمية - دمشق.
- ابن رشد محمد بن أحمد بن محمد, (١٤٢٥هـ), بداية المجتهد ونهاية المقتصد, دار الحديث - القاهرة.

- ابن سيده علي بن إسماعيل, (١٤٢١هـ), المحكم والمحيط الأعظم, تحقيق: عبد الحميد هنداوي, ط١: دار الكتب العلمية - بيروت.
- ابن عابدين محمد أمين بن عمر, (١٤١٢هـ), رد المحتار على الدر المختار, ط٢: دار الفكر - بيروت.
- ابن فارس أحمد بن فارس بن زكريا, (١٣٩٩هـ), معجم مقاييس اللغة, تحقيق: عبد السلام محمد هارون, دار الفكر - دمشق.
- الزبيدي محمد بن محمد بن عبد الرزاق, (١٩٨٤م), تاج العروس من جواهر القاموس, تحقيق: مجموعة من المحققين, دار الهداية - مصر.
- الزحيلي د. وهبة بن مصطفى, التفسير المنير, (١٤١٨هـ), ط٢: دار الفكر المعاصر - دمشق.
- السباعي مصطفى بن حسني, (١٤٢٠هـ), المرأة بين الفقه والقانون, ط٧: دار الوراق - بيروت.
- السمرقندي نصر بن محمد بن إبراهيم, (١٤١٣هـ), تفسير السمرقندي - بحر العلوم -, تحقيق وتعليق: مجموعة من العلماء, ط١: دار الكتب العلمية - بيروت.
- السمعاني منصور بن محمد بن عبد الجبار, (١٤١٨هـ), تفسير القرآن, تحقيق: ياسر إبراهيم وغنيم عباس غنيم, ط١: دار الوطن - الرياض.
- السويدان طارق محمد و باشراحيل فيصل عمر, (٢٠٠٤م), صناعة القائد, ط٣: مكتبة جرير - الرياض.
- سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي, (١٤١٢هـ), في ظلال القرآن, ط١٧: دار الشروق - القاهرة.
- الشافعي محمد بن إدريس, (١٤١٠هـ), الأم, دار المعرفة - بيروت.

- الشعراوي محمد متولي, (١٩٩٧م), تفسير الشعراوي, مطابع أخبار اليوم - مصر.
- الشوكاني محمد بن علي بن محمد, (١٤١٤هـ), فتح القدير, ط١: دار ابن كثير - دمشق.
- صالح د. سليمان سالم, (٢٠٢٠م), نظريات القيادة, ط١: مفكرون الدولية - القاهرة.
- الطبري محمد بن جرير بن يزيد, (١٤٢٠هـ), تفسير الطبري - جامع البيان عن تأويل آي القرآن -, تحقيق: أحمد محمد شاكر, ط١: مؤسسة الرسالة - بيروت.
- طنطاوي محمد سيد, (١٩٩٨), التفسير الوسيط للقرآن الكريم, ط١: دار نهضة - القاهرة.
- ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد, (١٩٨٤م), تفسير التحرير والتنوير, الدار التونسية - تونس.
- العسقلاني أحمد بن علي بن حجر, (١٣٧٩هـ), فتح الباري شرح صحيح البخاري, ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي, تخريج: محب الدين الخطيب, تعليقات: عبد العزيز عبد الله بن باز, دار المعرفة - بيروت.
- عمر د. أحمد مختار, (١٤٢٩هـ), معجم اللغة العربية المعاصرة, ط١: عالم الكتب - القاهرة.
- الغضبان منير محمد, (١٤١٣هـ), فقه السيرة النبوية, ط٢: جامعة أم القرى - السعودية.
- الفراهيدي الخليل بن أحمد بن عمرو, (١٩٨٥م), العين, تحقيق: د. مهدي المخزومي, د. إبراهيم السامرائي, دار ومكتبة الهلال - بغداد.
- الفيروزآبادي محمد بن يعقوب, (١٤٢٦هـ), القاموس المحيط, تحقيق: مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي, ط٨: مؤسسة الرسالة - بيروت.

- القاسمي محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم, (١٤١٨هـ), تفسير القاسمي - محاسن التأويل -, تحقيق: محمد باسل عيون السود, ط١: دار الكتب العلمية - بيروت.
- القرطبي محمد بن أحمد بن أبي بكر, (١٣٨٤هـ), تفسير القرطبي - الجامع لأحكام القرآن -, تحقيق: أحمد اليردوني وإبراهيم أطفيش, ط٢: دار الكتب المصرية - القاهرة.
- القشيري عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك, (٢٠٠٠م), تفسير القشيري - لطائف الإشارات-, تحقيق: إبراهيم البسيوني, ط٣: الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر.
- ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر بن أيوب, (١٤١٥هـ), زاد المعاد في هدي خير العباد, ط٢٧: مؤسسة الرسالة - بيروت.
- ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر بن أيوب, (١٤١٦هـ), مدارج السالكين, تحقيق: محمد المعتصم بالله, ط٣: دار الكتاب العربي - بيروت.
- ابن كثير إسماعيل بن عمر, (١٤٢٠هـ), تفسير القرآن العظيم, تحقيق: سامي بن محمد سلامة, ط٢: دار طيبة - الرياض.
- لهلوب د. ناريمان يونس والصررايرة د. ماجدة أحمد, (١٤٣٢هـ), مهارات القيادة التربوية الحديثة, ط١: دار الخليج - الأردن.
- الماتريدي محمد بن محمد بن محمود, (١٤٢٦هـ), تفسير الماتريدي - تأويلات أهل السنة -, تحقيق: د. مجدي باسلوم, ط١: دار الكتب العلمية - بيروت.
- المراغي أحمد بن مصطفى, (١٣٦٥هـ), تفسير المراغي, ط١: مطبعة مصطفى البابي - مصر.
- مسلم بن الحجاج, (١٣٧٤هـ), صحيح مسلم, تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي, دار إحياء التراث العربي - بيروت.

- المظهري مولوي محمد ثناء الله الهندي، (١٤١٢هـ)، التفسير المظهري، تحقيق: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية - الباكستان.
- المعمرى عبد الملك أحمد، (١٤٢٧هـ)، القيادة والنمط القيادي في الإسلام، ط١: مكتبة دار السلام - اليمن.
- المغربي كامل محمد، (١٩٧٤م)، المدخل لإدارة الأعمال أسس ووظائف، مكتبة عمان - الأردن.
- ابن منظور محمد بن مكرم بن على، (١٤١٤هـ)، لسان العرب، ط٣: دار صادر - بيروت.
- المنهاجى محمد بن أحمد بن على، (١٤١٧هـ)، جواهر العقود ومعين القضاة والموقعين والشهود، تحقيق وتخريج: مسعد عبد الحميد السعدنى، ط١: دار الكتب العلمية - بيروت.
- أبو النصر مدحت، (٢٠١٢م)، قادة المستقبل - القيادة المتميزة الجديدة، ط١: المجموعة العربية للتدريب - القاهرة.
- أبو يعلى الفراء محمد بن الحسين بن محمد، (١٤١٢هـ)، الأحكام السلطانية، تصحيح وتعليق: محمد حامد الفقى، ط٢: دار الكتب العلمية - بيروت.

پوخته:

سەرکردایه تی وتایبه تمه ندیه کانی له ژیر پۆشنایی قورئانی پیرۆزدا

ئهم توێژینه وهیه باس له پرسى (سەرکردایه تی) دهکات، بهو پنییهی سەرکردایه تی له کۆمه لگا یان دهوله تدا به پیگه ی سهر بۆ لاشه وجهسته داده نریت، بۆیه پیویسته سهرکرده بوونی هه بیته و پیگه که ی چۆل نه ی، به لکو جگه له مه پیویسته له سهر ئیمه ی موسلمان وینه ی سهرکرده ی سهرکه وتوو له قورئانی پیرۆز وهر بگرین، چونکه قورئانی پیرۆز له میانى ئایه ته کانی وگیزانه وه ی چیرۆکه کانی ئاماژه ی کردوه بۆ نمونه گه لیکى شکۆدار له سه رۆک و سه رکرده له میژووی مرۆقایه تیدا، ههر له پیغه مبه رانه وه (درودی خویان لیی) تا دهگات به سه رکرده خواناسه کان نمونه ی (ذو القرنین)، جا ئیمه له سایه ی ئایه ته کانی قورئانی پیرۆز تیشکمان خستۆته سهر باسکردنی سهرکردایه تی وئهو وشانه ی په یوه ندیدارن به سه رکردایه تی، وه جۆره کانی وگرینگی وئاکاره کانی وپایه کانی هه موو ئه مانه له قورئانی پیرۆزدا به جۆریک له کورتی وپوختی، له توێژینه وه که ماندا شیوازی باسکردنیکى بابه تیا نه مان په یره وکرده، ناوه رۆکی زانستی ئهم توێژینه وه یه پیکه اتوه له دوو بهش له گه ل پاشکو وده ره نجامیکى کورت وپوخت له گرینگترین ئه نجام وراسپارده کان.

Abstract :

Leadership and its Peculiarities under Highlights of Holy Quran

This research talks about the issue of (leadership), as leadership in society or the state is considered as the head of the body; Therefore, it is necessary for it to exist and for the position of leadership to not be vacant from the leader, but we Muslims should quote images of successful leadership from the Holy Qur'an, because among its verses and narration of its stories he referred to high-end examples of human leadership models in its ancient history, of its greats such as the honorable messengers (Peace be upon them), and its righteousness is like Dhul-Qarnayn. In the shadows of Qur'an verses, we shed light on the mention of leadership or related words, their types, importance, qualities and pillars in the Holy Qur'an - in a kind of abbreviation -. In our research we have followed the method of objective discussion, this scientific content of this research consists of two parts with appendix and a short concise result in the most important results and recommendations.

